

1 - فيساريون غريغوريفيتش بيبليينسكي (1811 - 1848) ، نيقولا غاغريلوفيتش تشرنيشيفسكي ( 1828 - 1889 ) ، نيقولا الكسندروفيتش دوبروليوفوف (1836 - 1861) ، ودмитري ايفانوفيتش بيسارييف (1840 - 1868) اربعة نقاد روسيين من القرن التاسع عشر . للتعريف بهم نكتفي هنا بقول انهم كانوا مثقفين ديمقراطيين ثوريين تحدى اثر كتاباتهم صفحات المجلات ، ونقاشات المنتديات الادبية ، ليشمل مجتمعا برمته ، وليسهم ، من ثم ، في تغييره نحو الافضل .

واذ نترجم اليوم الى العربية نصوصا نقدية لاثنتين منهما فان ذلك لا يتم فقط لقيمتها التاريخية ، وانما للاهمية التي نعتقد ان تجربتهما تكنسيتها بالنسبة للمغرب . تطور الثقافة العربية بالمغرب : فالمشاكل المطروحة هنا وهناك تكاد تكون متماثلة ، كما ان الحل الذي اعطاه هولاء لها حل بالغ الصواب والعمق ، يفوق في تربة ارضه بقدر ما يستفيد من جماع التجربة النظرية الانسانية ، فلا يفصله تنظير مجرد عن الواقع ، ولا يعزله انغماس تجريبي في «الواقع الخاص» عن ارتباطه بغيره من التجارب السابقة واللاحقة .

نضيف الى ذلك ان اغراق اغلب المدارس النقدية الغربية الحالية في الشكلية وفي الابحاث ذات الطابع «المعرفي» المحض - وهي تمارس ما تمارسه من التأثير على العمل النقدي العربي ، بالمغرب خاصة - ، يجعل ضروريا ان نعود ، مرة مرة ، الى الاصول ، فننذكر ان الاساس الذي ينبغي ان تدور حوله كل الانشطة الانسانية (نظرية كانت ام عملية) ، لكي تصبح فعالة ومنتجة ، هو الانسان نفسه ، هو هذا الكائن المجتمعي - من لحم ودم - العامل على الاحتياج من العبودية الاجتماعية والضرورة الطبيعية ، وهو العامل على السير به نحو مجتمع اكثر عدالة وحرية ومساواة .

2 - وتجدر الاشارة هنا الى انه رغم ضيق مجال اختيارنا للنصوص النقدية - اذا اعتمدنا في نقلها الى العربية على الترجمة الفرنسية لبحرانات «مختارة» من اعمال الناقدين - فقد حاولنا ، مع ذلك ، ان نكون معبرة - الى اكبر حد ممكن - عن وجهة نظر اصحابها متكاملة .

هكذا اخترنا رسالة بيبليينسكي الشهيرة الى غوغول ، التي كتبها على اثر نشر هذا الاخير لمؤلفه «مختارات من رسائل الاصدقاء» منتكرا فيه لكل كتاباته السابقة - وعلى راسها «المفتش» و «الارواح الميتة» - وداعيا الى مصالحة مع الواقع الاستبدادي الروسي ، تمر عبر انكفاء على الذات واغراق في الروحية والتصوف .

كما اخترنا له المقال الاول من دراسته المطولة «لمحة عن الادب الروسي سنة 1847» ، التي كتبها قبيل وفاته ، فجاءت بذلك معبرة عن زبدة آرائه النقدية - الادبية ، والاجتماعية الفكرية بوجه عام .

اما تشرنيشيفسكي فقد اخترنا له آخر مقطع من «مقالات عن الحقبة الفوغولية في الادب الروسي» ، وهي مقالات ثمانية لم ينشر منها في الترجمة الفرنسية سوى اربعة مقاطع ، الاول والثاني ينتميان الى المقال الاول ، والايران الى المقال الثامن - ، وقد اخترنا هذا المقطع ، رغم قصره ، لانه يعبر ، في رأينا ، عن جزء كبير من آراء هذا الناقد .

وقد كان بوجدنا ان نترجم ايضا نصوصا لدوبروليوفوف وبيسارييف ، لولا ان اوجدوا هو اما تطبيقي على اعمال لييست معروفة بعد بشكل واسع بالعربية ، واما مفرد في الطول ولا يمكن تقطيعه ، وبالتالي لا يمكن نشره في مجال محدود هو صفحات هذه المجلة .

الا انه امر نتحلى ان نتمكن من التقلب عليه مستقبلا ، فنكمل بذلك تعريف القارئ العربي على ذلك الجزء القيم المجهول ، بالنسبة له ، لحد الآن من التراث الفكري الانساني الروسي للقرن التاسع عشر .

« المترجم »